عرض كتاب
ديوان الخط العربي في سورية

شيرين القباني

اسم الكتاب: ديوان الخط العربي في سورية

المؤلف: فرج الحسيني

الناشر: مكتبة الإسكندرية

عدد الصفحات: ٥٦٣ صفحة

تعد النقوش الكتابية الإسلامية بصفة عامة وثائق أصلية ومصدرًا أصيلاً من مصادر التاريخ الإسلامي، وفرعًا أصيلاً من الفنون الإسلامية؛ فهي ذات أهمية كبرى من الناحية الأثرية لقيامها بتأريخ العمائر التي نُقشت عليها.

وترجع أهمية كتاب «ديوان الخط العربي في سورية» إلى أنه بمثابة حصر وتوثيق للنقوش الكتابية المملوكية بجميع أنواعها، سواء كانت نقوش تأسيسية أو وقفية أو دعائية أو دينية، على كافة أشكال العمائر الأثرية في سورية، والتي ينشر بعضها لأول مرة، في حين تعرض الكثير منها إلى التدمير نتيجة للحرب الدائرة فيها. وترجع أهمية تلك النقوش الكتابية إلى أنها تعد مصدرًا أصيلاً وخصبًا لتاريخ بلاد الشام في العصر المملوكي، وهي تفيد في معرفة النواحي الإدارية وما يرد بها من شخصيات تولوا مناصب سياسية وإدارية مهمة، وتلقي الضوء على نظم الحكم والإدارة من خلال ذكر النيابات وأعمالها، وهي أيضًا سجل لتاريخ المدن السورية، وهي معلومات لا تتوفر عادةً في كتب المصادر التاريخية، وتعتبر غاية في الأهمية خصوصًا للنيابات والمدن الصغرى، كنواب حمص أو اللاذقية أو نواب القلاع المختلفة.

كما أن لها أهمية كبيرة من الناحية الجغرافية من خلال ما يرد بها من أسماء الأقاليم والتقاسيم والبلاد والبقاع والأنهار والجبال والمعالم والقلاع والمدن والقرى والشوارع والخطط والدروب والأسواق والرباع والجوامع والمساجد والخوانق والمدارس والطباق والمعاصر والحوانيت والقيساريات والخانات والجسور والبيوت والأسبلة والبساتين والقاعات والقصور والقبور والمشاهد والميادين وغيرها. وتتعاظم أهميتها حين نعلم أن كثيرًا مما ورد ذكره بها قد دثر مع الأيام وأن وروده في النقوش بحدوده الأربعة وموقعه دليل قوي وأكيد عليه. كما تعد أيضًا من وسائل الإعلام المكتوبة؛ حيث تعتبر عملية تسجيل النصوص الإنشائية على المنشآت والمنتجات الفنية بشكل أو بآخر من وسائل الإعلام التي انتشرت في العصور الوسطى، فنقشها والمبالغة في إظهارها سواء بأعلى الواجهات أو على المداخل كان يقصد به الإعلان.

وينقسم الكتاب إلى ثلاثة أبواب رئيسية؛ كالتالي: الباب الأول عن النقوش الكتابية على العمائر الدينية، والباب الثاني عن النقوش الكتابية على العمائر المدنية، والباب الثالث عن النقوش الكتابية على

العمائر الحربية. وقد سلك الباحث في أغلب الدراسة منهج بدأ فيها بعمائر دمشق ثم عمائر حلب ثم عمائر حماه فحمص فجبلة فاللاذقية ثم غيرها من المدن والقرى، ورتب عمائر كل مدينة في ترتيب تاريخي.

فقسم الباحث الباب الأول إلى ثلاثة فصول؛ كالتالي:

- **الفصل الأول**: موضوعه النقوش الكتابية في الجوامع والمساجد؛ فالصلاة تعتبر من أهم أركان الإسلام، ومن ثمَّ كانت الحاجة ملحة إلى إقامة منشآت الصلاة، فحرص سلاطين وأمراء المماليك على إقامة منشآت الصلاة بأنواعها من مساجد جامعة ومساجد الصلوات الخمس في جميع أنحاء مدن بلاد الشام. واستعرض فيه الباحث النقوش المملوكية في عدد كبير من الجوامع والمساجد، بدأها من دمشق، حيث استعرض عدد كبر من نقوش جوامعها ومساجدها مثل النقوش الكتابية بالجامع الأموي، والنقوش الكتابية بجامع تنكز بدمشق، بالإضافة لعدد من نقوش الإنشاء والتجديد مثل نقش تجديد مسجد الذبان، ونقش توقيع لمعمار مئذنة الشحم، ونقش إنشاء ووقفية مسجد جادة عاصم.

- ثم ينتقل بعدها الباحث لتوثيق نقوش جوامع ومساجد حلب، التي من بينها النقوش الكتابية الخاصة بالجامع الكبير، ونقش إنشاء جامع الصيفي، وكذلك النقوش الكتابية الخاصة بجامع بانقوسا. ويتبع الباحث نفس تلك المنهجية عند دراسته لنقوش جوامع ومساجد حماة، وجبلة واللاذقية، وحمص، وقارا، وبصرى، ومصياف، وحصن الأكراد، وسرمين.

- **الفصل الثاني**: ينتقل فيه الباحث لدراسة نقوش الإنشاء والوقف والنقوش الدينية بمنشآت التعليم والتصوف، والتي كانت هي المكان الذي يُتَخَّذ لتلقي العلوم على أيدي شيوخ موقوفين عليه، بالإضافة لدور القرآن التي تستخدم لتحفيظ القرآن تلاوة وكتابة، ودور الحديث المختصة بتدريس علوم الحديث النبوي ومدارس الفقه. وفي هذا الفصل أيضًا اتبع الباحث نفس المنهجية في دراسة النقوش المملوكية بدءًا من دمشق، التي درس فيها عدد كير من نقوش منشآت التعليم كالمدرسة الشاذبكية، ودار القرآن والحديث الإخنائية. وانتقل بعدها لدراسة النقوش الكتابية بمنشآت العليم في حلب، حماة، وحصن الأكراد. كما احتوى هذا الفصل أيضًا على عدد من النقوش الكتابية بمنشآت التصوف في دمشق، مثل نقش ووقفية الخانقاة السامرية؛ ونقوش منشآت التصوف بكل من حصن الأكراد وحلب.

- **الفصل الثالث**: استقل الباحث فيه بالنقوش الكتابية في الترب والمشاهد، فالترب تعتبر من أنماط العمائر الإسلامية التي انتشر بناؤها؛ وهي إما عمائر قائمة بذاتها أو ملحقة بعمائر أخرى. أما المشاهد فهي من منشآت العمارة الجنائزية الأخرى التي انتشرت في العالم الإسلامي بصفة عامة، زهي عبارة عن أضرحة ومقامات أقيمت لأشخاص من آل بيت النبي أو الصحابة الكرام أو الصالحين والعارفين. وقد احتفظت كل من دمشق وحلب بعدد كبير من هذه النقوش، التي قام الباحث بدراستها تاريخيًّا ونقشيًّا، لينتقل بعدها لنقوش الترب والمشاهد بحماة، وحمص، وحصن الأكراد.

كما قسم الباب الثاني إلى ثلاثة فصول؛ كالتالي:

- **الفصل الأول**: موضوعه النقوش الكتابية على البيمارستانات التي هي مستشفيات عامة لمعالجة كافة الأمراض. وبدأ انتشارها في العالم الإسلامي منذ عصر الدولة الأموية، وحرص سلاطين وأمراء المماليك على تشييدها ووقف الأوقاف عليها لتستمر في أداء وظائفها. ويشتمل البيمارستان في الغالب على أقسام العلاج المتنوعة، وتحتوي كذلك على مطبخ لتجهيز الطعام للمرضى، ومصنع للأدوية والأشربة. ولعل أهم ما درسه الباحث في هذا الفصل هو النقوش الكتابية بالبيمارستان النوري بدمشق، وبيمارستان بكتمر الأشرفي بحص الأكراد، والنقوش الكتابية المملوكية لبيمارستان نور الدين بحلب.

- **الفصل الثاني**: موضوعه النقوش الكتابية في الخانات التي كانت تنشأ عادة في الطرق التجارية الهامة لإيواء المسافرين ودوابهم وبضائعهم، بالإضافة للخانات التي كانت تبنى داخل المدن؛ أما القيسارات فهي من المنشآت التجارية، وهي نوع من الأسواق؛ حيث كانت تضم عددًا كبيرًا من الحوانيت تختص ببيع نوع معين من البضائع. ومن بين هذه الخانات الشهيرة خان لاجين المشهور بخان عياش، والذي قام الباحث باستعراض ما به من نقوش، وكذلك خان العسل، وخان السبيل، وغيرها.

- **الفصل الثالث**: استقل بالنقوش الكتابية على الأسبلة والنواعير والطواحين، التي أنشئت لتوفير المياه للمدن. وقد احتفظت كل من دمشق وحلب بعدد كبير من الأسبلة التي تحمل نقوش كتابية مملوكية، مثل سبيلي البريدي وباب السلام بدمشق، وسبيلي آشقتمر المشهور بسبيل السكاكيني وبردبك بحلب. وبين المنشآت المائية التي لاتزال محفوظة في سورية النواعير، وهي تتميز بضخامتها وجمال بنائها. استعرض الباحث نواعير حلب المتمثلة في الناعورة المحمدية، والناعورة المأمورية. ويختتم هذا الفصل بدراسة الطواحين مثل طاحون منجك بالكسوة، وطاحون السبعة خارج مدينة حمص.

أما الباب الثالث فقسمه الباحث إلى ثلاثة فصول؛ كالتالي:

- **الفصل الأول**: عن النقوش الكتابية في أسوار وقلعة مدينة دمشق التي تعد نموذجًا مميزًا لفن العمارة العسكرية؛ نظرًا لأنها شيدت في فترة تطورت معها تلك الفنون تطورًا ملحوظًا وبلغت أوجها من الرقي والمنعة. وهي تضم العديد من الأبواب والأبراج التي تتألف من عدة طوابق.

- **الفصل الثاني**: عن النقوش الكتابية في أسوار وقلعة مدينة حلب، وهي من أجل القلاع في سورية، وتتميز بموقها الفريد فوق تل طبيعي شاهق.

- **الفصل الثالث**: عن النقوش الكتابية في حصن الأكراد أحد أفضل نماذج التحصينات الحربية التي ترجع إلى العصور الوسطى، وقلعة الكهف التي كانت إحدى القلاع التي كانت بيد الشيعة الإسماعيلية، وحصن المرقب الواقع على الساحل السوري بالقرب من مدينة بانياس، ويتألف من قلعة داخلية قوية وأخرى خارجية أكثر اتساعًا، وقلعة شيزر التي تقع في حوض نهر العاصي.

يقع الكتاب في حوالي ٥٦٠ صفحة من القطع الكبير بطباعة فاخرة، ويحتوي على عدد ضخم من اللوحات والتفريغات النصية للنقوش الواردة في الدراسة. ومن ثم؛ فيعد بحق دراسة موسوعية توثق لأهم ما احتفظت به سورية من نقوش ترجع للعصر المملوكي على أشكال متنوعة من العمارة، حرص فيها الباحث على إبراز الجانب التاريخي لكل نقش، اتبعه بدراسة خطية ونصية لكل نقش على حدا، وتأتي أهمية هذا الكتاب إلى أنه وثق العديد من النقوش التي تعرضت للضياع والتدمير من جراء الحرب الدائرة في سورية الجريحة.